

المقدمة

لسانيات النص علم حديث، يدرس النصوص المنطوقة والمكتوبة - على حد سواء - دراسة لغوية، باعتبارها الوحدة اللغوية الأكبر، التي يمكن لها أن تخضع للتحليل، وقد كانت الجملة كذلك، في بدايات الدرس اللساني؛ إذ اعتبرت الوحدة الكبرى في اللغة، و عليه تبين كل النظريات اللغوية؛ فلا يجوز تجاوزها في مطلق الأحوال، و لكن الضرورة بمنطلق توجهاتها، دعت إلى هذا التجاوز الذي جاءت به لسانيات النص، و تحليل الخطاب.

و يعتبر النص -وفق ذلك- ممثلاً شرعياً للغة، تقوم عليه كل الدراسات و النظريات اللغوية الحديثة، لأنه أرضية خصبة لكل ذلك، و يسمح تحليله بالانفتاح على نص متكامل و متسق، يحتكم إلى علاقات معينة بين متتاليته الجمالية، و إلى وسائل تصنع اتساقه، الذي يستهوي القارئ و يدعو للولوج إلى عالمه العجيب المتناسق؛ فالنص غدا عالماً سحرياً، و مجالاً خصباً و حيويًا يحتاج إلى ميدان يفوقه خصوبة و حيوية، للتعشقه و استنطاق شفراته؛ ميدان يجعل من شفرات هذا النص لآلياً تضيء النص للقارئ، باعتبارها وسائل نصية، تجعل منه متناسقاً، قابلاً للقراءة و التأويل.

و نجد التحليل النصي المعاصر صرحاً يحقق لنا ذلك، لأن البحث في الاتساق النصي، من أهم مباحثه على الإطلاق. إنه بحث يمكننا من معرفة سبب انصياغنا الطوعي و العجيب من جملة إلى أخرى في النص بانتظام و جمالية، لا تضاهيها إلا جمالية معرفة الاتساق النصي، و إمطة اللثام عنه، و عن وسائله.

و عليه؛ فمن خلال الاتساق، باعتباره مظهراً لسانياً نصياً من جهة و مبحثاً من أهم مباحث التحليل النصي المعاصر، رغبتنا في الوصول إلى تحليل نص شعري، فضلنا أن يكون (النخلة والمجداف) للشاعر "عز الدين ميهوبي"؛ فنتتبع هذه الظاهرة فيه ونكشف عن وسائلها وفق منظور التحليل المعاصر في لسانيات النص.

ومن بين الدواعي التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع، هو ذلك النقص الذي تعانيه الدراسات النصية في بلادنا. وكذلك جاذبية الموضوع ذاته وحدثه في ساحة الدرس اللساني. كما نجد ميلنا الشديد إلى كل مجال حيوي يحاول استتطاق أي نص من النصوص ومحاورته بطريقة صائغة وشيقة فيها من الإمتاع ما في هذا الموضوع من سحر وحادثة، هذه من أهم الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع.

وأما عن اختيارنا لمدونة " النخلة والمجداف" من الشعر الجزائري المعاصر، فمن منطلق أننا أولى بدراسة أدبنا، وتسليط الضوء عليه من جهة، كما أن المدونة تعبر عن الكثير من القضايا المعاصرة، الأمر الذي سيجعلنا نفتح على العديد من الآفاق من جهة أخرى. و نهدف من خلال ذلك إلى تجسيد الاتساق والتناغم بين قائل النص والنص والمتلقي؛ ففي النهاية ما هذه الدراسة إلا إسهام تطبيقي جديد لهذا الدرس الخصب والحيوي.

ونقسم موضوع البحث إلى: مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة؛ فبدأنا بمدخل تعرضنا فيه إلى لسانيات النص - التشكل والمفهوم - باعتبارها العلم الذي يحتضن موضوع هذه الدراسة - الاتساق النصي - كمبحث من أهم مباحثه البارزة والأساسية.

وبعد هذا يأتي الفصل الأول الذي وسمناه بمفاهيم أساسية في الموضوع بين القدماء والمحدثين حيث نتناول بالعرض كل من (النص - النصية - الاتساق) بين الحداثة و التأصيل، حيث سيكون المبحث الأخير تأصيلاً لظاهرة الاتساق، الذي لا نجانب الصواب إذا اعتبرنا النظم كما قدمه الجرجاني وغيره مشابهة للاتساق بمنظوره الحداثي إلى حد كبير.

أما الفصل الثاني نتناول فيه وسائل الاتساق على المستوى الشكلي للقصيدة ويأتي الفصل موسوماً بـ "الاتساق النصي على المستوى الشكلي في القصيدة"، وفيه نتعرض إلى الإحالة بنوعها المقامية والمقالية (قبليّة وبعديّة). كما نتناول بالدراسة والتطبيق كل من الحذف والوصل والتكرار والتوازي باعتبارها

وسائل اتساقية ظاهرة تساهم بشكل كبير وفعال في إحداث الاتساق لنص "النخلة والمجداف". وتجعله كلا موحدًا ومتماسكًا، يأخذ بعضه بتلايف بعضه الآخر.

ويأتي الفصل الثالث نتناول فيه الوسائل الاتساقية للمستوى الدلالي في القصيدة وقد وسمناه بـ "الاتساق النصي على المستوى الدلالي في القصيدة"، حيث نحاول فيه الاقتراب من العلاقات الدلالية، التي كان لها دور في جمع أشات النص المتنافرة لتقدمه لنا لوحة فنية متسقة و مترابطة. كما نحاول الاقتراب من مفهوم "موضوع النص" لأنه أداة إجرائية، تبرهن على أن النص متسق منسجم. ونتناول في هذا الفصل السياق، لأنه الوسيلة التي تفسر أبعاد النص للقارئ التي تبدو له متنافرة، في الوهلة الأولى؛ فيقربها السياق لتظهر جلية متجاذبة. وفي آخر الفصل نتناول الخلفيات المعرفية لنص "النخلة والمجداف"، لأننا نجد ذات فاعلية في بلورة المنتج الإبداعي، و وصوله إلينا على هذا المستوى من الاتساق؛ فهي معرفة تربط الماضي و الحاضر، لتسلط الأضواء الكاشفة على خبايا الأمور. لأن القارئ لنص "النخلة والمجداف" يجد إشارات تتعلق بكل من الأسطورة و النص القرآني والموروث الشعري القديم والحديث، فيتوجب عليه وصل هذا بذاك ليتكامل مضمون النص لديه. وفي الأخير، تأتي الخاتمة التي نسجل فيها أهم النتائج، وإعطاء حوصلة لكل ما فات.

وقد اهتدينا إلى هذه الخطة عن طريق مصادر و مراجع كثيرة، لعل أهمها: مجموعة من الدواوين للشاعر، خاصة المدونة قيد الدراسة، ومجموعة أخرى من الكتب المتنوعة مثل: "لسانيات النص" لمحمد خطابي، و"تحليل الخطاب" لبراون ويول، و"علم لغة النص" لسعيد حسن بحيري، و"تحليل الخطاب الشعري" لمحمد مفتاح، والاتساق في اللغة الإنجليزية "لهاليداي و رقية حسن"، و"علم اللغة النصي-بين النظرية والتطبيق" -"لصباحي إبراهيم الفقي، وكتب ومقالات أخرى كثيرة، نجدها ذات أهمية كبيرة في إثراء الموضوع وتوسيعه وبلورة مفاهيمه.

و لما كان البحث يتطلب منهجا يسير عليه، و يسدد خطواته، اتبعنا المنهج الوصفي/التحليلي في هذه الدراسة؛ الذي من خلاله نستطيع وصف الظاهرة

اللغوية و وسائلها المختلفة وتحليلها على أكمل وجه وفق ما تسمح به خطة الموضوع من جهة، و ما تقتضيه المادة العلمية للقضايا المعالجة في ثنايا فصول البحث من جهة أخرى . وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهتنا خاصة في الحصول على بعض المراجع التطبيقية، فإننا استطعنا تجاوزها بالاعتماد على أهمها، فكان إسهامنا ولو قليلا في هذه الدراسة التطبيقية.

تلكم، هي محاولة لدراسة ظاهرة الاتساق، و هو مجال حديث وحيوي في الآن ذاته، ينتظر منه الكثير لأن البحث والتتقيب لا ينتهيان فيه بغية الوصول إلى حقائق هذا الميدان الواسع.

وأنتقدم -في الأخير- بالشكر الجزيل والتقدير الكبير إلى الأستاذ المشرف الدكتور **محمد خان** الذي تحمل معنا عناء هذا البحث، وكان دقيقا في مواعيده وتوجيهاته، بالقدر الذي كان صبورا على قراءة هذا البحث وتصحيحه، و الذي أعتز به كثيرا على ملاحظاته الهادفة، و نصائحه القيمة التي أسداها لي من بداية البحث إلى نهايته، و التي كانت تبعث في نفسي المواظبة، و الاستمرار في البحث و تحفزني إلى إتمامه، فكان لي نعم الموجه و نعم الأستاذ؛ فله مني خالص الشكر و العرفان.

وأخيرا، أسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى ما فيه الخير والسداد.